من بعيد..

يبدو أن مصر لم تعد فقط بلد الاهرامات.. بل أصبحت بلد العجائب زوجة تغادر بيت الزوجية لخلافات أسرية بينها بين زوجها.. تقوم الدنيا مظاهرات وشائعات وبلبلة تثير الفتن وتهدد الوحدة الوطنية.. وعندما تظهر الحقيقة ننام وكأن شيئا لم يكن..لابد وأن نحاسب أنفسنا ونتعلم مما حدث.. بأن نضع الأشياء فى مكانها الطبيعى ونتعامل مع الحقائق وليس مع الشائعات..شعبنا شعب واع وذكى ..ويعى تماما حق بلده عليه.. ولكن ما حدث على خلفية خروج زوجة أحد رجال الكنيسة من بيتها بدون علمه لا يجب أن يمر هكذا مرور الكرام..لأنه لم يلق على شعبها الطيب وهو يمر عليها السلام.. أثار الناس وربما شوه الصورة الحقيقية للمواطن أو أضر بسمعة مصر وحضارتها ووحدتها التى ستظل دوما فوق كل مثال..أرهق أجهزتها الزمنية وجعل بصر شعبها الطيب شاخصا على زاوية من المستقبل..مستغربا ما يسمع..فهو أبدا لا يحيا هذه الشائعات فى حياته اليومية.. فى سوق الموسكى والفجالة والصعيد تجار مسلمون ومسيحيون متعاونون فى الجامعات طلاب وأساتذة متحابون فى شبرا فى الضاهر والقصيرين وفى أرجاء المحروسة جيران مسلمون ومسيحيون تجمع بينهم المحبة وحسن الحوار أكثر أحيانا، مما يجمع بين أبنا الدين الواحد أو العائلة الوحدة..الجميع شركاء فى البيت والعمل والشارع والوطن والمستقبل..الجميع تربطه حميمية المواطنة والعلاقات الطيبة فى كل مفردات الحياة اليومية..الجميع مسيحى ومسلم يسال فى كل مرة من هؤلاء ينظرون فى غير الواقع المصرى..فى ظل هذا الحدث والأحداث المشابهة التى يستغلها المستغلون لخلق أرض جديدة للفتنة ليست أوضنا..تتصل بى الدكتورة ماريان لترسل لى دواء ابنى المستورد النادر وجوده فى الصيدليات.. اتصل أنا بنبيل جرجس لتركيب الالومتال أقف لصديقى المسيحى بكل الحب وينزل كلانا من السيارة لمصافحة الأخر والاطمئنان على أحواله فى الطريق العام.. لابد وأن نقف بجوار الحدث قليلا ولم أقصد هذا الوقفة الأمنية أو القضائية..ولكن على الأقل وقفة للتحاور والتفاعل والتساؤل داخل الناس ومع الغير عن الأسباب والدوافع وكيف بجب على الجميع الالتزام بحرمة الدول احترام المجتمع ولعل الاعتذار يكون واجبا على الذبن ساروا فى ركب من يحول كل الموضوعات المشابهة ذات الطابع الشخصى أو ذات الطابع الجنائى أو فى ممارسة أحد المواطنين أحد حقوقه الإنسانية إلى غير مواضعها مستغلين الحرية السياسية فى إدارة الفتنة والتشويه.. ويجب أن تكون النتيجة هى الاستفادة من عدم تكرار ما حدث ونتعلم منه التأكد من كل الشائعات قبل تصديقها والسير فى ركابها.. إن مصرنا أكبر مننا جميعا.. وعلينا أن نحترم قدسيتها ومحرماتها..

من بعيد..

١ - قضية الإخوان ليست فقط فى كونها جماعة محظورة تمارس العمل السياسى وهى خارجة عن الشرعية من خلال قنواته الشرعية وتمارس سيادتها التنظيمية تحت غطاء أمنى من الحكومة كما حدث فى انتخابات المرشد الأخيرة وما صاحبها من تغطية إعلامية غلفتها بالشرعية وأعطتها قبولا آخر فى الشارع المصرى.. وقبولا لكل عناصرها التنظيمية على الساحة الإعلامية بداية من المرشد العام إلى المتحدث الاعلامى والرسمى.. ثم أخبار عن ضبط عناصر إخوانية لطالب جامعى وموظف صغير كان يلصق منشورا أو يوزعه.. (لا تتعجب) كيف تقنع رجل الشارع إن هذه الجماعة محظورة وهو يراها ملىء السمع والبصر فى كافة وسائل الإعلام وفى انتخابات النقابات والمجالس التشريعية وقيادتها فى حرية من الحركة أكثر من حرية الوزراء أنفسهم.. على الحكومات التى حضرت هذا العفريت بقصد أو بدون قصد أن تصرفه..

٢ - قضية الإخوان ليست فى كونها شرعية أو غير شرعية.. بل فى كونها جماعة ثقافتها رفض المجتمع الحالى على أنه مجتمع غير مسلم كما يرونه.. وأن الحكم الحالى غير اسلامى.. وأن النموذج الامثل للحكم هو الخلافة الإسلامية بدون الاعتراف بحدود الدولة.. وأنهم المنوط بهم أقامة شرع الله فى أرضه..وتكتيكهم أظهار غير الباطن.. والتعامل مع من يختلفون معه أو يتفقون مع العدو أو الصديق من أجل تحقيق الهدف..والعمل السرى أصل التنظيم..

لذلك تجد أن فكرهم شديد السلفية لكن معظمهم ليس تاركا للحية ومعظمهن غير منقبات..
يحملون أفكار الجهاديين والمكفرين ويظهرون الحداثة ونبذ العنف..

٣ - إذن القضية هى الحاجة للتوعية والثقافة وخاصة لدى الشباب المنخدع ببراعة الأسلوب وشمولية الأفكار.. عليه أن يعى أننا جميعا مع قطع رقبة السارق والمرتشى لا قطع يده فقط وأن الزانى يولع بجاز مش بس يرجم أن الكل مع الفضيلة وليس العكس.. وأن نظام الدولة وأمن المجتمع وحب الوطن والانتماء والتعاون فى التنمية والحفاظ على البيئة وقبول الأخر والتعاون معه من أجل صالح الوطن عمل لا يخالف الشرع..

٤ - تجربة الإخوان فى حزب العمل والأحزاب التى انضموا إليها تجعلنا نقول أن كونهم داخل كيان شرعى وحده ليس كافيا.. بل علينا أن نخلصهم من ثقافة العمل السرى.. وأن نتعلم جميعا كيف نحترم القانون.. وكيف نضمن حريات التعبير وخاصة الحزبى والرأي الآخر.. وكيف نطالب بحقوق الديمقراطية وكيف نمارسها حتى نخطوا خطوات نحوا العدالة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فى ممارسة هادئة لواقع ملىء بالصراعات من حولنا هى أولى بالاهتمام..

أرض الفيروز..

بين المشروع القومى والأمن القومى، تظل دائما سيناء هى المرشح الأول على طاولة من أراد أن يستمع لصوت الوطن العالي لتبنى المرحلة القادمة لمشروع قومى، تلتف حوله الروح الوطنية والامكانات الاقتصادية، والرغبة الشعبية، فى خطة مدروسة وواضحة المعالم والأبعاد والأهداف لتنمية سيناء من منطلق أن تنميتها ليس فقط نقلة اقتصادية فاعلة للقضاء على ثلثى المشاكل الاقتصادية والاجتماعية. التى تعانى منها مصر، ولكن من منطلق أن هذه التنمية داعمة بقوة للأمن القومى المصرى على حدودها الشرقية وذلك بعد وضع الكيفية الصالحة لاستغلال قدراتها الاقتصادية والبيئية والسياحية وطاقة شبابنا المتعطش للمشاركة فى الإنتاج والاستفادة منه موضع التنفيذ والمراقبة فى جدول زمنى محدد.. أرجو أن تلقى هذه الدعوة الاهتمام ولا تكون كمثيلتها التى أطلقتها فى مناسبات عدة وجدت قبولا محدودا فقط من بعض الوطنيين الذين رأوا أن التنمية على أرض الفيروز لا تتناسب مع قيمتها الاقتصادية والأمنية بالقياس للثلاثين عاما التى عاشتها فى حضن الوطن أو بالنسبة للتهديدات الأمنية المستمرة، والتى نظهر من حين إلى آخر كلما تحرك حال الصراع العربى الاسرائيلى فى المنطقة فما كنا ندرى وقتها سببا كافيا بمنعنا من ممارسة حقنا فى تنمية سيناء بالشكل اللائق بها بعد تحريرها منذ ثلاثيين عاما.. هل كان توجها حكوميا له استراتيجيته فى التنمية الشاملة.رغم أن خطط تنمية سيناء بالشكل المرجو منها كان موضوعا ومطروحا وواضحا فى أكثر من جهة وطنية..

أم أن هناك معوقات دولية تخص معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل ونحن لا نعلمها وعلى كل ربما الأيام القادمة. التى ظهر فيها البحث عن مشروع قومى يستوعب قدراتنا الاقتصادية والروح الوطنية الوقادة ويحقق أمالنا فى رؤيتنا النمو الاقتصادي المصرى أتمنى أن تكون انطلاقته من أرض سيناء لمستقبل أكثر تفاؤلا، مع مراعاة كل الاطروحات الأخرى فى سائر جسد الوطن وتؤليه لانطلاق هذا النمو الاقتصادى المصرى. الذى تتحقق به بقية أحلام المشروعات، أو الضروريات القومية التى تاجات كثيرا، كالمشروع القومى للتعليم والصحة والتأمين الاجتماعى وغيرها.. أتمنى ألا يرى أحد هذا الطموح حلما يمكننا تحقيقه أولا يمكننا.. بل أتمنى أن نراه واقعا كان يجب أن يتحقق فبنات ونعيشه منذ زمن بعيد، ولكنه تأخر عنا.. فهل حانت اللحظة. التى نؤمن فيها بأنفسنا وبحقوقن

من بعيد..

العاشر من رمضان يوم لا ينسى من ذاكرتى ولا يجب أن ينسى من ذاكرة التاريخ.. فى مثل هذا اليوم الموافق السادس من أكتوبر ١٩٧٣م. بدأت عمليات العبور العظيم إلى الضفة الغربية من قناة السويس.. فى قريتى من الضفة الشرقية.

جنوب سهل الحسينية تجاورنى مدرسة بحر البقر الابتدائية ويجاورنى فى الفصل منذ الصف الرابع الابتدائي من نجا من تلاميذها بعد المذبحة الإسرائيلية.. لم يكن هذا اليوم كسائر الأيام بل يوم فارق فى تكويننا الانسانى والوطنى.. إحساس قاطع بالنصر الفاصل فى تاريخ الحرب بيننا وبين إسرائيل لا ندرك له سببا رغم أنه اليوم الأول فى العمليات العسكرية.. تصديق وارتباط بالقيادة رغم ما حدث فى يونيه ٦٧.. وثقة بان هذا اليوم ليس كسائر أيام حرب الاستنزاف. التى نفرح فيها يوم بقدرتنا على الاختراق والثأر فى العمق الاستراتيجى للعدو.. ونحزن يوم آخر لفقد عزيز أو قائد من أحدى الغارات الجوية الغادرة.. هاتف من داخلنا يقول هذا هو يوم الثأر لعبد المنعم رياض ورفاقه.. بل هذا يوم الثأر لكل ما اقترفته إسرائيل فى حق الشعب العربى كله.. انطلق مدفع الإفطار وسكت لسماع صوت المؤذن الله اكبر.. ولم تسكت أصوات المدافع على طول الجبهة ولا صيحات الله اكبر.. كنا نسمعها واضحة جلية فالقرية واقعة بين القنطرة والصالحية.. فى المسجد صلينا المغرب والعشاء داعين الله أن يستمر هذا المشهد حتى يتحقق الحلم.. أنهينا الصلاة ولم نذهب إلى بيوتنا، بل صعدنا أعلى المسجد لنرى ما نسمع على الطلقات الكاشفة.. فى الصباح كانت القرية قد تحولت بشبابها وشيوخها وأطفالها ونسائها إلى ثكنة عسكرية مداخل ومخارج غير مسموح بدخول غريب منها إلا بعد معرفة سبب الزيارة.. استعداد تام للمشاركة فى المعركة.. فى الصباح نشاهد الغارات الجوية التى نراها رؤي العين فوق رؤوسنا.. هذا هو سرب من طائرات العدو مكون من أربعة وثلاثين طائرة حربية يصرخ فوق رؤوسنا يكاد يلامس أشجار الزرع يرعب الحيوانات ذاهب إلى ضرب المطار.. وهاهو يعود خائبا أدراجه..

فى اليوم التالى سرب أخر فوق الصالحية وآخر فوق القنطرة..

تشتبك معه الصواريخ المضادة والطائرات فى مشهد يصعب وصفه.. الطائرة خلف الطائرة تحاول التصويب.. كيف تتم المناورة فى السماء هربا من القذائف.. وكيف يتبعها الصاروخ حتى ينال منها.. قرابة النصف ساعة فى السماء لكل جولة.. الطائرات فوق رؤوسنا ونحن نرصد المشهد كاملا.. نصفق لنجاح طيارينا فى الإفلات من طائرات العدو ونتخيل أنهم قد سمعوا أصواتنا المرتفعة فى التنبيه والتحذير من طائرة العدو. التى خلفه تريد النيل منه.. ونهتف للصاروخ وهو يتبع طائرة العدو حتى ينال منها.. تعود طائرات العدو خائبة هذه المرة أيضا دون تحقيق أهدافها.. تسقط الطائرات.. نجرى بعد انتهاء المعركة فى الحقول باحثين عن الطيارين.. نفرح بالتقاطهم والعودة بهم إلى المغفر لحين قدوم المسؤلين وتسليمهم إياهم.. تعليمات مشددة بالحفاظ على الطيار الاسرائيلى وعدم المساس به كالطيار المصرى.. فهو لدينا أمانة حتى ترى القيادة كيفية التصرف فيه.. الاستجابة من أهل القرية للتعليمات هى استجابة الجندى فى المعركة لقادته.. فكلنا جنود.. نبحث عن أثار الدانات الناتجة عن انفجارات الطائرة التى سقطت.. نضمد جراح الجرحى.. ونتابع الموقف على أصوات المدافع التى لم تسكت ليل نهار حتى انتهاء المعركة.. وصوت المذياع الذى يأتي لنا بالنتائج.. يوم العيد أحسسنا أن رمضان كان ست سنوات كاملة.. وان تكبيرات العيد كانت أنشودة من ملحمة القدرة الإلهية فى عبادة حتى النصر..